تحقيق القول في ما نسبه السيوطي في الأشباه والنظائر إلى سيبويه من المنقول

د/عمر بورنان
جامعة العقيد أكلي محند أولحاج /البويرة

تاريخ الإرسال: 2021-03-31	تاريخ القبول: 2021-04-02

ملخص:

للتراث أهمية بالغة، لذلك وجب علينا دراسته للاطلاع على مكنوناته الثمينة، وشرح عباراته الغامضة، ونقد ما قد يلحقه من هنات من غير طعن ولا تجريح، من أجل ذلك تساءلت: هل نقل النحاة المتأخرون ما قاله الأولون نقلا دقيقا يمكن للباحث الركون إلى أقوالهم؟

وقد اخترت كتاب الأشباه والنظائر للسيوطي (ت911هـ) أنموذجا ونظرت في ما نسبه لسيبويه (ت180هـ) من أقوال لأتأكد إذا ما تم نقلها بدقة أم أن ثمة اختلاف بين ما قاله سيبويه وما نسبه إليه السيوطي، ومن أجل الوصول إلى نتائج علمية اتبعت المنهج المقارن الذي تقتضيه طبيعة المقال، فتوصلت إلى ما يلي:

- غَيَّر السيوطي في كثير من المواضع عبارة سيبويه وقد يحافظ على المعنى وقد يخل به.
- نسب في بعض المواضع أقوال شراح الكتاب إلى سيبويه.
- نسب شاهدا إلى سيبويه وفي حقيقة الأمر ما هو من شواهد الكتاب.
- قلب القياس في موضعين؛ فجعل الأصل عند سيبويه فرعا، وجعل الفرع عنده أصلا.
- غيَّر اسم شاهد من شواهد الكتاب.

وهذه النتائج تجعلنا لا نثق في ما نقله المتأخرون من النحاة عن الأولين إلا بالرجوع إلى الكتب الأصول.

الكلمات المفتاحية: سيبويه؛ السيوطي؛ النحو؛ النحاة المتقدمون؛ النحاة المتأخرون.

Abstract:

Heritage is of great importance, so we had to study it in order to see its precious components, explain its ambiguous phrases, and criticize the delusions that may be attached to it without stabbing or offending, for this I wondered: Did the late grammarians accurately convey what the ancients said, so that the researcher could rely on their statements? So I chose the book of al-Shabat wa al-Naza'ir al-Suyuti (d. 911 AH) as a model and looked at what was attributed to Sibawayh (d. 180 AH) to make sure whether it was accurately transmitted or whether there is a difference between what Sibawayh said and what al-Suyuti attributed to him, and in order to reach scientific results I followed the comparative approach required by the nature of The article concluded: - Non-Suyuti, in many places, is the term Sebwayh, and he may preserve the meaning and may violate it. - In some places, the sayings of Sharrah al-Kitab were attributed to Sebawayh. - He attributed a witness to Sebawayh, and in fact it is one of the evidence in the book. - flip the measurement in two positions; So he made the original branch at Sibawayh, and made the branch with him as an asset. - Change the name of a witness from the evidence in the book. These results make us not trust what the later grammarians have reported from the first ones except by referring to the books of origins.).

Keywords: Sîbwayh ; Al-Sūyūti; Grammar; The first grammarians; Late Grammarians

البحث:

1. مقدمة:

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فإن التراث العربي زاخر بالمؤلفات في شتى العلوم اللغوية والشرعية والفلسفية والطبية والرياضية وغير ذلك، وإنه من الواجب علينا قراءته قراءة متفحصة والإفادة مما فيه، والنظر إليه نظرة إكبار وإجلال، والشعور عند ذكره بالاعتزاز والافتخار، لأنه ممثل أصالة هذه الأمة، وحامل ثقافتها من الناحيتين اللغوية والدينية، ويجب علينا من جهة أخرى النظر إليه نظرة نقدية لا للزراية عليه، ولا للحط من قيمة أعلامه، ولكن لتمحيصه وتمييز ما لحقه من شوائب وما هو بمعصوم منها، إذ هو بناء سهر على تشييده رجال يلحقهم السهو والنسيان وإن كانوا رحمهم الله جميعا قد بلغوا من العلم ما بلغوا.

من هذا المنطلق، لا ضير في أن ننقد التراث نقدا علميا بنّاء، للتأكد مما ورد فيه، وهذا من باب إحيائه وإخراجه في أحسن صورة، وقد كان أعلامه رحمهم الله ينقد بعضهم بعضا، ويرد بعضهم على بعض، ويستدرك بعضهم على بعض بعيدا عن الطعن في أمانة الأشخاص، بل لقد عقدوا مناظرات في مجالس الأمراء والسلاطين للوصول إلى الحق في مسألة نحوية وإن بدت بسيطة لا فائدة منها، وبذلك ارتقى الدرس النحوي في عصرهم، وشُحذ الفكر العربي في زمانهم، فجادوا علينا بمؤلفات نحوية موسوعية لا ينكر قيمتها العلمية عاقل.

وإني لأجد سؤالا يدعوني بإلحاح لكتابة هذا المقال، ويدفعني إلى إلقاء نظرة على التراث النحوي العربي وهو: هل نقل المتأخرون من النحاة أقوال المتقدمين منهم نقلا دقيقا يمكِّننا من الاعتماد عليها والوصول من قراءتها إلى نتائج نستريح إليها؟

ولم أجد في ما رجعت إليه من كتب من أجاب عن هذا السؤال إجابة مباشرة، غير ما أشار إليه عبد الرحمن الحاج صالح في كتابه (**السماع اللغوي العلمي عند**

العرب ومفهوم الفصاحة) تحت عنوان (**أصول البحث العلمي في التراث اللغوي كما يجب أن تكون في نظرنا)** فقد ذكر رحمه الله بأن أغلب ما نسبه ابن الأنباري في الإنصاف إلى الفراء لا أصل له، وأشار هناك إلى كتاب لمحمد خير الحلواني وبأنه قد تناول الموضوع إلا أني لم أستطع الحصول عليه.

فرأيت من حيث المنطق أن الجواب عن هذا السؤال لا يخرج عن أحد احتمالين: **الاحتمال الأول**: الإيجاب وفي هذه الحالة نطمئن إلى كتب المتأخرين، ونعلم عن طريق الاستنباط أن ما نُقل من الكتب الضائعة ينوب عن وجودها. **والاحتمال الثاني**: السلب وفي هذه الحالة علينا ألا نركن إلى كتب المتأخرين وأن نطلب علم النحو من أصوله الأولى ما استطعنا إلى ذلك سبيلا، وللخروج من دائرة الاحتمال الذي لا يمت بصلة إلى العلم إلى دائرة اليقين، رأيت أن أتتبع ما نقله السيوطي (ت911هـ) في الأشباه والنظائر في النحو من أقوال سيبويه (ت180هـ)، وأقارن ما أُثْبِتَ في الكتابين، وذلك لكون سيبويه في مقدمة قافلة المؤلفين القدامى في علم النحو، والسيوطي في آخرها، وحاولت الوقوف على الاختلاف ذي الأثر الواضح في الدرس النحوي، فلم أذكر في مقالي هذا، ما كان متفقا في اللفظ والمعنى أو مختلفا في اللفظ ومتفقا في المعنى، وقسمت الاقتباسات إلى عناصر ذكرت في كل عنصر أقوالا نسبها السيوطي إلى سيبويه وتصرف فيها بنوع من التصرف فضممت الاقتباس إلى ما يشبهه من حيث ما لحقه من التغيير، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

2. لمحة مختصرة عن المؤلِفَيْن (سيبويه والسيوطي):

وإن كان الرجلان أشهر من نار على علم، فإن المنهج يقتضي التعريف بهما تعريفا مختصرا، إذ يطلع على مقالي هذا، العالم العارف بعلوم العربية وبرجالها، والطالب

المبتدئ والمختص وغير المختص؛ أما العالم فإنه كفانا بعلمه مؤونة ترجمة الرجلين، وأما المبتدئ فإني أخشى أن يذهب ذهنه إلى أن النحاة المتأخرين لم يُحصِّلوا العلم تحصيلا جيدا وراحوا يتقوَّلون على الأولين الأقاويل، وليس هذا أردت ولا إليه ذهبت، وإنما قصدي أن الإنسان يلحقه السهو والنسيان وإن بلغ من العلم ما بلغ، لذلك رأيت أن أنقل ترجمة مختصرة لكل من سيبويه والسيوطي ليستدل بها القارئ على مكانتهما في العلم ورسوخهما في النحو، وبالله التوفيق.

2. 1. لمحة عن سيبويه:

إمام النّحو، حجّة العرب، أبو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر طلب الفقه والحديث مدة، ثم أقبل على العربية، فبرع وساد أهل العصر، وألف فيها كتابه الكبير الذي لا يدرك شأوه فيه، أخذ النحو عن عيسى بن عمر، ويونس بن حبيب، والخليل، وأبي الخطاب الأخفش الكبير، قيل: كان فيه مع فرط ذكائه حُبْسةٌ في عبارته، وانطلاقٌ في قلمه، قال العَيْشي عنه: كنا نجلس مع سيبويه في المسجد، وكان شابا جميلا نظيفا، قد تعلق من كل علم بسبب، وضرب بسهم في كل أدب مع حداثة سنه.

قيل: عاش اثنتين وثلاثين سنة، وقيل نحو الأربعين، توفي رحمه الله بشيراز، سنة 180هـ[1].

1- ينظر: شمس الدين مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح: نذير حمدان، ط11. بيروت: 1417هـ، 1996م، مؤسسة الرسالة، 1996، ج8، ص351، 352.

2. 2. لمحة عن السيوطي:

هو الحافظ المحقِّق المدقِّق جلال الدين السيوطي صاحب المؤلفات الفائقة النافعة، ولد سنة 849هـ حفظ كثيرا من الكتب الشرعية واللغوية كعمدة الأحكام، ومنهاج النووي، وألفية ابن مالك، ومنهاج البيضاوي وغيرها، وعرضها على علماء عصره فأجازوه، ورزق كثرة التأليف إذ بلغت مؤلفاته ما يقرب خمسمائة كتاب، أشهرها في علوم اللغة الأشباه والنظائر في النحو، والمزهر في علوم اللغة وأنواعها، توفي رحمه الله سنة 911هـ[1].

3. أشكال اقتباسات السيوطي من الكتاب:

لا يخفى على المختصين في علوم العربية مكانة السيوطي العلمية، ولا ينكر منصف فضله في التدوين والتأليف، ولا يجحد باحث جهده في نقل نصوص كثيرة بعضها وصلتنا مصادرها، وبعضها ضاعت أصولها أو لم تحقق ولم تُخْرَج إلى الناس بعد، ولا بد لنا –من باب التأكد والتثبت– من مقارنة ما ينسبه المتأخرون إلى الأولين لا سيما والمصادر الأصول بين أيدينا، ولا نكتفي بالثقة في علم الناقل مهما بلغ من العلم، ومهما عرف بصدق القول، وقد تتبعت ما نسبه السيوطي إلى سيبويه رحمهما الله، وقارنت تلك النصوص بما ورد في الكتاب، فتوصلت بحمد الله وعونه إلى الحالات التالية:

1– ينظر: شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن العماد ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الأرناؤوط، ط1. دمشق: 1414هـ، 1993م، دار ابن كثير، 1993، ج10، ص74– 79.

3. 1 تغيير المثال:

قد يذكر السيوطي قولا لسيبويه ولكنه يغير المثال المذكور في الكتاب، ومن أمثلة ذلك قوله: «يضاف إلى الظرف المتوسع فيه المصدر على طريق الفاعلية. نحو (بل مكر الليل والنهار)، وعلى طريق المفعولية، نحو: (تربص أربعة أشهر)، والوصف كذلك نحو:

يا سارق الليلة أهل الدار

ويا مسروق الليلة أهل الدار، ذكرهما سيبويه[1]» ولم يذكر سيبويه (يا مسروق الليلة أهل الدار) إطلاقا، وقد نسبها إليه جمع من النحاة المتأخرين أذكر منهم: ابن مالك (ت672هـ)[2] وناظر الجيش(ت778هـ)[3] وأبا حيان الأندلسي (ت745هـ)[4] وإنما ذكر سيبويه: «يا مسروق الليلة الثوب[5]» ويدخل في هذا الباب تغيير الكلمة التي مثل بها سيبويه، أو إضافة كلمة إلى ما ذكر، قال: «وقال

1- جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر، تح: عبد العال سالم مكرم، ط1. بيروت: 1406هـ، 1985م، مؤسسة الرسالة، ج1، ص34.

2- جمال الدين مُحَمَّد بن مالك، شرح التسهيل، تح: عبد الرحمن السيد ومُحَمَّد بدوي المختون، ط1. الجيزة: 1410هـ، 1990م، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ج2، ص244.

3- محب الدين مُحَمَّد بن يوسف بن أحمد ناظر الجيش، تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، تح: علي مُحَمَّد فاخر وآخرين، ط1. القاهرة: 1428هـ، 2007م، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ج4، ص2029.

4- أبو حيان الأندلسي، التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، تح: حسن هنداوي، ط1. الرياض: 1430هـ، 2009م، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ج8، ص87.

5- أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام مُحَمَّد هارون، ط3. القاهرة: 1408هـ، 1988م، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، ج1، ص43.

سيبويه: وقد يجمعون الشيء بالتاء، لا يجاوزون به استغناء، وذكر سِيَاتٍ وشِيَاتٍ[1]» ولم يذكر سيبويه (سيات) إطلاقا، وهذا نص كلامه: «وقد يجمعون الشيء بالتاء ولا يجاوزون به ذلك، استغناء، وذلك: ظُبَةٌ وظُبَاتٌ، وشِيَةٌ وشِيَاتٌ. والتاء تدخل على ما دخلت فيه الواو والنون لأنها الأصل[2]»، وهذا وإن بدا هيّنا، فإنه في بعض الحالات يُقَوِّلُ سيبويه ما لم يقله، فقد نقل السيوطي قول ابن الصائغ: «ولو لم يكن لسيبويه إلا قوله في باب الصفة المشبهة: مررت برجل حسنٍ وجهِه بإضافة حسن إلى الوجه، وإضافة الوجه إلى الضمير العائد على الرجل فقد خالفه جميع البصريين والكوفيين في ذلك[3]» ولم أجد في الكتاب ما ذكره ابن الصائغ، ولكنه قال: «وقد جاء في الشعر حسنةُ وَجْهِها، شبَّهوه بحسنةِ الوجهِ، وذلك رديء[4]» مع أنه لم يُثبت هذا الكلام للنثر ومع وجود القاعدة المتفق عليها: «يجوز في الشعر ما لا يجوز في الكلام[5]» إلا أنه حكم على (حسنةُ وَجْهِها) بالرّداءة، ولم أجد في الكتاب ما يثبت ما ذهب إليه ابن الصائغ.

3. 2. نسبة قول شارح الكتاب إلى سيبويه:

أحيانا ينسب السيوطي قول السيرافي إلى سيبويه وذلك كقوله: «وفي (شرح المفصل) للسخاوي: لا يجوز: "إِنَّ أَنَّ زيدًا منطلق يعجبني" عند سيبويه[6]» وهذه

1- السيوطي، المصدر السابق، ج1، ص128.
2- سيبويه، المصدر السابق، ج3، ص598.
3- السيوطي، المصدر السابق، ج5، ص254.
4- سيبويه، المصدر السابق، ج1، ص199.
5- سيبويه، المصدر السابق، ج1، ص26.
6- السيوطي، المصدر السابق، ج1، ص49.

العبارة لا وجود لها في الكتاب، وهي في (شرح كتاب سيبويه) للسيرافي (ت368هـ) وهذا نصه: «... والدليل على ذلك أنهم يستقبحون "أَنَّ أَنْ تقومَ خير لك" كما يستقبحون: "إِنَّ أَنَّ زيدًا قائم يعجبني" في معنى: إن قيام زيد يعجبني[1]» ويعود توهمه إلى سببين اثنين:

– **السبب الأول**: نقله عن مرجع وسيط، إذ نقل النص من شرح المفصل للسخاوي (ت643هـ) وهو من المتأخرين، ولعل السخاوي نقل العبارة من شرح السيرافي.

– والسبب الثاني: روايته للمذهب لا للقول لذلك قال: (عند سيبويه)، نعم، قد ورد كلام في الكتاب موافق لما ذكر السخاوي بلفظ مختلف عما ذكره، قال سيبويه: «واعلم أنه ليس يحسن أن تلي إنَّ أنَّ ولا أنَّ إنَّ ألا ترى أنك لا تقول: إنَّ أنَّك ذاهب في الكتاب، ولا تقول: قد عرفت أنّ إنك منطلق في الكتاب[2]» فلم يذكر سيبويه في كتابه المثال "إِنَّ أَنَّ زيدًا منطلق يعجبني" وما ذكره السيوطي يوهم القارئ بأن سيبويه قد ذكره ولم يفعل، ووقع في الأمر نفسه في قوله متحدثا عن هاء هذه: «وقال سيبويه: ولا أعلم أحدا يضمها لأنهم شبهوها بهاء الضمير وليست للضمير، فحملوها على أكثر الكلام، وأكثر الكلام كسر الهاء إذا كان قبلها كسرة، ووصلوا بالياء كما وصلوا في به وبغلامه[3]» ولا وجود لهذا النص في كتاب سيبويه، وإنما ذكره السيوطي ونسبه إلى سيبويه لكونه مذكورا في شرح الكتاب للسيرافي[4] فتوهم أنه

1- السيرافي، أبو سعيد، شرح كتاب سيبويه، تح: أحمد حسن مهدلي وعلي سيد علي، ط1. بيروت: 1429هـ، 2008م، دار الكتب العلمية، ج1، ص32.

2- سيبويه، المصدر السابق، ج3، ص124.

3- السيوطي، المصدر السابق، ج2، ص99.

4- السيرافي، المصدر السابق، ج5، ص69.

لسيبويه، والأمر نفسه في قوله معلقا على قول عباس بن مرداس وهو من شواهد الكتاب:

أَبَا خُرَاشَةَ أَمَّا أَنْتَ ذَا نَفَرٍ*** فَإِنَّ قَوْمِي لَمْ تَأْكُلْهُمْ الضَّبُعُ

«قال سيبويه: المعنى: لأَنْ كنتَ مُنطلقا انطلقتُ لانطلاقك[1]» وما ورد في الكتاب: «ومن ذلك قول العرب: أمَّا أنت منطلقا انطلقت معك، وأمَّا زيد ذاهبا ذهبتُ معه[2]» ولم يذكر سيبويه الفعل (كان) ويرجح أن يكون السيوطي قد أخذ هذا الكلام من شرح كتاب سيبويه للسيرافي فقد ورد فيه: «... فتقول: إن كنت منطلقا، وأن كنت منطلقا، فإن كسرت فهو المعنى الظاهر في الشرط، وإن فتحت فالمعنى: لأن كنت منطلقا، أي لانطلاقك، وقد ذكرنا (أنْ) و(إنْ) في موضعهما[3]» وعبارة السيوطي أقرب إلى عبارة السيرافي من عبارة سيبويه، ومهما يكن الأمر، فإن ما نسبه السيوطي إلى سيبويه غير موجود في الكتاب، نعم لقد ذكر الفعل (كان) في بيت العباس بن مرداس المثبت في ديوانه المطبوع، وهذا نصه:

أَبَا خُرَاشَةَ أَمَّا كُنْتَ ذَا نَفَرٍ*** فَإِنَّ قَوْمِي لَمْ تَأْكُلْهُمْ الضَّبُعُ[4]

وهو موافق لما قدره بعض النحاة.

3. 3. نسبة شاهد إلى سيبويه وما هو من شواهده:

وقد ينسب السيوطي شاهدا إلى سيبويه، وما هو من شواهد الكتاب، من ذلك قوله: «قال ذو الرمة أنشده سيبويه:

1- السيوطي، المصدر السابق، ج2، ص113.
2- سيبويه، المصدر السابق، ج1، ص293.
3- السيرافي، المصدر السابق، ج2، ص192.
4- العباس بن مرداس السلمي، ديوان العباس بن مرداس، تح: يحي الجبوري، ط1. بيروت: 1412هـ، 1991م، مؤسسة الرسالة، ص106.

وَهَلْ يُرْجِعُ التَّسْلِيمُ أَوْ يَكْشِفُ العَمَى* ثَلاثُ الأَثَافِي وَالرُّسُومُ البَلاَقِعُ[1]»

وليس لهذا الشاهد ذكر في الكتاب، وسبب الوهم الذي وقع فيه السيوطي هو وجوده في شرح كتاب سيبويه للسيرافي[2] فظنه السيوطي من شواهد سيبويه وما هو منها.

3. 4. تغيير عبارة سيبويه:

وقد يذكر نصا لسيبويه ولكنه يغير بعض كلماته، مثل قوله: «قال: سئل الخليل بن أحمد عن قول الله عز وجل: { ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا} (مريم: 69) فقال: هذا على الحكاية... فقال سيبويه: هذا غلط، وألزمه أن يجيز لأضربن الفاسقُ الخبيثُ بالرفع على تقدير: لأضربن الذي يقال له: هو الفاسق الخبيث. وهذا لا يجيزه أحد[3]» وهذا الكلام بهذا الشكل غير موجود في الكتاب، وإنما قال سيبويه: «وحدثنا هارون أن ناسا، وهم الكوفيون يقرأونها: ﴿ثم لننزعن من كل شيعة أيَّهم أشد على الرحمن عتيا﴾ (مريم: 69) وهي لغة جيدة... وزعم الخليل أن أيُّهم إنما وقع في اضرب أيُّهم أفضل على أنه حكاية، كأنه قال: اضرب الذي يقال له أيُّهم أفضل... وتفسير الخليل رحمه الله ذلك الأول بعيد، إنما يجوز في شعر أو في اضطرار. ولو ساغ هذا في الأسماء لجاز أن تقول: اضرب الفاسقُ الخبيثُ، [تريد الذي يقال له الفاسقُ الخبيث][4]» وثمة اختلافات ذات بال بين النصين نذكر منها:

1- السيوطي، المصدر السابق، ج5، ص122.
2- السيرافي، المصدر السابق، ج2، ص86.
3- السيوطي، المصدر السابق، ج5، ص35.
4- سيبويه، المصدر السابق، ج2، ص399- 401.

– لم يذكر سيبويه أن الخليل قد سئل عن الآية، وإنما ذكر رأيه دون بيان سبب تكلمه فيها.

– لم يقل سيبويه: إن كلام الخليل غلط، وإنما قال: بعيد، يجوز في شعر أو اضطرار، والفرق بين الحكمين واضح جدا، فالغلط لا يصح في نثر ولا شعر، ولا يوافق وجها من وجوه كلام العرب، والبعيد ما جاز مع كراهته، وهو موافق لبعض كلام العرب وإن كان نادرا شاذا، والدليل على الفرق بين المصطلحين ما قاله سيبويه أثناء كلامه عن قلب الحروف: «وأما الدِّكَرُ فإنهم كانوا يقلبونها في مَدَّكِرٍ وشبهه، فقلبوها هنا، وقلبها شاذٌّ شبيه بالغلط[1]»، فلو كان الشاذ هو الغلط عنده لما جعله مشابها له.

– لم يقل سيبويه: (الذي يقال له: هو الفاسق الخبيث)، وإنما قال: (تريد الذي يقال له: الفاسق الخبيث)، والفرق بين العبارتين أن الأولى كأنها تحكي ما يقال فعلا، والثانية تحكي مقصود المتكلم على ما يقوله على الحقيقة، وهذا منهج معروف عند سيبويه، إذ يذكر أمثلة وإن كانت العرب لا تتكلم بها، منها قوله: «ومررتُ بهم قضَّهُم بقضيضهم، كأنه يقول: مررت بهم انقضاضا. فهذا تمثيل وإن لم يُتَكلَّم به[2]» فعبارة (الذي يقال له: الفاسق الخبيث) من هذا الباب، أي من باب التمثيل الذي لا يتكلم به لرسوخه في الذهن دون اللفظ لذلك قال: تريد.

ولا أشك في أن السيوطي لم ينقل هذا النص من الكتاب، وإنما نقله من (مجالس العلماء) للزجاجي فقد ذكر فيه النص كما ورد في الأشباه والنظائر[3]، وهذا يسوقنا

1- سيبويه، المصدر السابق، ج4، ص477.

2- نفسه، ج1، ص375.

3- ينظر: الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، مجالس العلماء، تح: عبد السلام مُحَمَّد هارون، ط3. القاهرة: 1420هـ، 1999م، مكتبة الخانجي، ص231.

إلى القول بأن سيبويه دَوَّنَ رأي الخليل في المسألة دون أن يشير إلى ما دار بينهما من حوار، ثم نقله الزجاجي كما وصله الخبر عن مشايخه، ثم نقله السيوطي من كتاب الزجاجي دون أن يرجع إلى كتاب سيبويه، وهذا الصنيع من شأنه أن يغيّر ما قاله سيبويه زيادة أو نقصانا.

ومن الأمثلة عن ذلك أيضا ما نقله عن أبي نزار: «وقد قال سيبويه: إن تاء التأنيث تدخل على المصادر المجردة، وذوات الزوائد دخولا مطّرداً، فهي تدل على المرة الواحدة[1]» لا وجود لهذا النص في الكتاب، وإنما قال سيبويه: «... فالمقاتلة ونحوها بمنزلة الإقالة والاستغاثة؛ لأنك لو أردت الفَعلة في هذا لم تجاوز لفظ المصدر، لأنك تريد فَعْلَةً واحدة فلا بُدّ من علامة التأنيث. ولو أردت الواحدة من اجْتَوَرْتُ فقلت تجاورةً جاز، لأنَّ المعنى واحد، فكما جاز تَجَاورًا كذلك يجوز هذا. وكذلك يجوز جميع هذا الباب[2]» وهذا الصنيع، أقصد تغيير عبارة سيبويه، يؤدي إلى نسبة مصطلحات نحوية إلى سيبويه وهو لم يستعملها إطلاقا، مثل المصطلح (المصادر المجردة) فإنه لم يذكر في الكتاب، فيعتقد قارئ الأشباه والنظائر أنه معروف منذ القرون الأولى، وهو لم يُعرف إلا عند النحاة المتأخرين، ويُرجَّح أنه لم يعرف قبل القرن السابع الهجري، وإن كان معناه معروفا معلوما، ومع ذلك فلا يصح نسبة مصطلحات وضعها نحاة متأخرون إلى نحاة متقدمين ونسبتها إلى إمام المؤلفين في النحو العربي يعد خطأ علميا لا محالة، ولا يغتر الباحث بنقل المعنى دون اللفظ.

1- السيوطي، المصدر السابق، ج6، ص84.

2- سيبويه، المصدر السابق، ج4، ص86، 87.

ومما يدخل في هذا الباب ما نقله عن أبي نزار: «فأما سيبويه فقال: استغنوا بـ (إليه) عن: (إلى عنده)، كما استغنوا بـ(مثل) عن (كه) ابتداء[1]» ولم يذكر في الكتاب هذا النص بهذا الأسلوب وإنما قال سيبويه: «واستغنوا عن الإضمار في حتَّى بقولهم: رأيتُهم حتَّى ذاكَ، وبقولهم: دَعْهُ حتى يوم كذا وكذا، وبقولهم: دَعْهُ حتَّى ذاك، وبالإضمار في إلى إذا قال دَعْهُ إليه؛ لأن المعنى واحدٌ، كما استغنوا بمثْلي ومثْله عن كي وكَهُ[2]» وكما ترى فإن معنى النصين مختلف، إذ يرى سيبويه أن الإضمار في (إليه) من قولهم: دعه إليه، أغناهم عن الإضمار في حتى من قولهم: دعه حتى ذاك، لأن المعنى واحد، ولم يذكر (إلى عنده) إطلاقا، وفي النص الذي نقله السيوطي عن أبي نزار اضطراب واضح، ذلك أن سيبويه يجعل (مثل) تنوب عن كاف التشبيه فبين أن العرب استغنت عن (كي) و(كه) لوجود مثلي ومثله، ولا يفيد النص المذكور في الأشباه والنظائر هذا المعنى إذ ذكر فيه (مثل) مجردة من الضمير وهي بهذا الشكل لا تنوب عن كي وكه، وهذا خلل واضح في القياس.

والأمر نفسه في قوله: «... وإليه أشار سيبويه بقوله: يقال: دخلوا أوّلُهم وآخِرُهُم، ولا يقال: ادخلوا أوّلُكم وآخرُكم، لأن دخل لا يَصِحُّ إسناده إلى أولكم وآخركم[3]» فقوله: أوّلُكم وآخرُكم معناه جميعكم، وليس هذا المعنى الذي أراده سيبويه بل هذا ما نفاه بعبارة صريحة، فقال: «... وهو قولك دخلوا الأوّلَ فالأوّلَ، جرى على قولك واحداً فواحداً ودخلوا رجُلا رَجُلا. وإن شئت رفعتَ فقلت: دخَلوا الأوّلُ فالأوّلُ، جعله بدلا وحمله على الفعل، كأنه قال: دخل الأوّلُ فالأوّلُ.

1- السيوطي، المصدر السابق، ج6، ص114.
2- سيبويه، المصدر السابق، ج2، ص383.
3- السيوطي، المصدر السابق، ج7، ص24.

وإن شئت قلت: دخلوا رجلٌ فرجلٌ، تجعله بدلاً كما قال عزّ وجلّ: ﴿بالناصية ناصية كاذبة﴾ (العلق: 15، 16) فإن قلتَ: ادْخُلوا فأمرتَ فالنَّصبُ الوجهُ، ولا يكون بدلاً، لأنك لو قلت: ادْخُلِ الأوّلُ فالأوّلُ أو رجلٌ رجلٌ، لم يجز، ولا يكون صفةً، لأنه ليس معنى الأوّلِ فالأوّلِ، أنّك تريد أن تعرِّفه بشئ تحلّيه به. لو قلت: قومُك الأوّلُ فالأوّلُ أَتَوْنا لم يَستقم، **وليس معناه معنى كلّهم** فأُجريَ مجرى خمستَهم ووحدَه. ولا يجوز فى غير الأول هذا، كما لا يجوز أن تقول: مررتُ به واحِدَه ولا بهما اثْنَيْهما. وكان عيسى يقول: ادْخُلوا الأَوّلُ فالأوّلُ لأنّ معناه ليَدخل، فحمله على المعنى[1]»، فقوله: ليس معناه معنى كلهم، يبطل النص الذي ذكره السيوطي، وإنما المقصود من نص الكتاب الترتيب لذلك ورد الأول فالأول بالفاء في قول سيبويه، ولم يرد بالواو كما ذكره السيوطي.

والسبب الرئيس لهذا الاختلاف أمران: يتمثل الأمر الأول في أن السيوطي لا يرجع في كثير من الأحيان إلى الكتاب لينقل أقوال سيبويه، وإنما يعتمد على كتب وسيطة، ويتمثل الأمر الثاني في إيراده قول سيبويه بالمعنى ولا يحرص على إيراده بلفظه، وهذا ما صرح به في النص التالي: «وقال سيبويه رحمه الله: إذا قيل: رأيت زيدا وعمرا، ثم أدخل حرف النفي، فإن كانت الرؤية واحدة قلت: ما رأيت زيدا وعمرا. وإن كنت قد مررت بكل منهما على حدة، قلت ما مررت بزيد، ولا مررت بعمرو. وهذا معنى ما نقل عنه ابن عصفور في (شرح الجمل)، فأوجب تكرار النافي عند تكرار الفعل، ولكنه صرح بالفعل مع النافي[2]» فقد نقل معنى كلام سيبويه عن ابن عصفور، وإن كان قد أوصل شيئا من معنى ما قاله سيبويه، فإنه قد أخل بأشياء أذكرها بعد

1- سيبويه، المصدر السابق، ج1، ص398.

2- السيوطي، المصدر السابق، ج7، ص238.

الإشارة إلى ما قاله سيبويه لفظا ومعنى وهو قوله: «وذلك قولك: مررتُ برجلٍ وحِمارٍ قبلُ. فالواوُ أَشركتْ بينهما فى الباءِ فجريا عليه، ولم تَجعلْ للرَّجُل منزلةً بتقديمك إيّاه يكون بها أَوْلَى من الحمار، كأنك قلت: مررتُ بهما. فالنفىُ فى هذا أن تقولَ: ما مررتُ برجلٍ وحمارٍ، أي ما مررت بهما، وليس في هذا دليل على أنه بدأ بشيء قبل شيء، ولا بشئ مع شيء، لأنه يجوز أن تقول: مررتُ بزيدٍ وعمرٍ ووالمبْدوءُ به فى المرور عمرٌو، [ويجوز أن يكون زيداً]، ويجوز أن يكون المرورُ وَقَعَ عليهما فى حالةٍ واحدة. فالواوُ تَجمع هذه الأشياءَ على هذه المعاني، فإذا سمعتَ المتكلِّمَ يَتكلّم بهذا أَجبتَه على أيّها شئتَ؛ لأنها قد جَمعتْ هذه الأشياءَ. وقد تقول: مررت بزيدٍ وعمرٍو، على أنّك مررت بهما مُرُورَيْن، وليس فى ذلك [دليلٌ] على المرور المبدوء به، كأنّه يقول: ومررت أيضا بعمرٍو. فنفْىُ هذا: ما مررتُ بزيد وما مررتُ بعمرٍو[1]» ونسجل عدة نقاط بالمقارنة بين النصين:

– يستفاد من نص سيبويه أن الجملة المثبتة نحو قولنا: مررتُ برجلٍ وحِمارٍ، تحتمل عدة معان، فقد يكون المرور في وقت واحد، وقد يكون في وقتين مختلفين، وقد يكون المرور قد وقع على الرجل أولا، وقد يكون العكس، وأما الجملة المنفية فلا يقع فيها هذا الاشتراك، وهذا ما لا يفهم من نص السيوطي بالوضوح الذي يفهم به من نص سيبويه.

– في النص الذي ذكره السيوطي إيهام بأن تكرار الفعل يستوجب استعمال (ما) في الأول و(لا) في الثاني، إذ قال: «وإن كنت قد مررت بكل منهما على حدة، قلت **ما** مررت بزيد، **ولا** مررت بعمرو» وليس ذلك بواجب كما يفهم من قول سيبويه:

1- سيبويه، المصدر السابق، ج1، ص437، 438.

«فنفْيُ هذا: ما مررتُ بزيد وما مررتُ بعمرٍو» فكرر (ما) ولم يشترط نفي الأول بـ(ما) ونفي الثاني بـ(لا). واعتماد الوسائط ونقل النصوص بالمعنى هو السبب الأساس في وجود الاختلاف بين النصوص الأصلية والنصوص المنسوبة إلى سيبويه.

3. 5. قلب القياس:

مما وجدته من اختلاف بين ما عزاه السيوطي لسيبويه وبين ما ذكر في الكتاب قلب القياس، فيجعل المقيس مقيسا عليه، ومن الأمثلة على ذلك قوله: «قال سيبويه: فقلت للخليل: فَلِمَ قالوا: أهلون فأسكنوا الهاء ولم يحركوها كما حركوا أرَضين؟ فقال: لأن الأهل مذكر فأدخلوا الواو والنون فيه على ما يستحقه ولم يحتج إلى تحريكه، إذ ليس بمؤنث يجمع في بعض الأحوال بالألف والتاء فيحرك لذلك، قال الله تعالى: ﴿شغلتنا أموالنا وأهلونا﴾ وقال: ﴿قوا أنفسكم وأهليكم نارا﴾ قال سيبويه: فقلت له: فلم قالوا: أَهَلاَت فحركوا حين جمعوا بالألف والتاء؟... فقال: شبهوه بأرضات ففتحوه لذلك. قال سيبويه: ومنهم من يقول: أهْلات فيسكن الهاء وهو أقيس، والتحريك في كلامهم أكثر، وهذا من الشواذ الذي يحكى حكاية، ولا يجعل أصلا أعني جمع أهل أَهْلات[1]» فيخبرنا السيوطي بأن سيبويه يسأل الخليل عن السبب الذي جعل العرب لا تقيس جمع كلمة (أهل) فتقول: أهَلُون، على جمع كلمة (أرض) إذ قالت: أرَضون، وبالرجوع إلى الكتاب نجد سيبويه يسأل الخليل عن السبب الذي جعل العرب لا تقيس جمع كلمة (أرض) فتقول: أرْضون، على جمع كلمة (أهل) إذ قالت: أهْلون، وهذا كلام مقلوب كما ترى، وهذا نص ما قاله سيبويه لفظا ومعنى: «وسألتُ الخليل عن قول العرب: أرْضٌ وأرَضاتٌ؟ فقال: لما كانت مؤنَّثة وجُمعت

1- السيوطي، المصدر السابق، ج5، ص132، 133.

بالتاء ثُقِّلت كما ثُقِّلت طَلَحاتٌ وصَحَفاتٌ. قلتُ: فلم جمعَت بالواو والنون؟ قال: شُبِّهت بالسِّنينَ ونحوها من بنات الحرفين لأنَّها مؤنثة كما أن سنة مونثة، ولأن الجمع بالتاء أقلّ والجمع بالواو والنون أعمُّ. ولم يقولوا: آراضٌ ولا آرُضٌ فيجمعونه كما جمعوا فَعْلٌ. قلتُ: فهلاَّ قالوا: أرْضُونَ كما قالوا: أهْلون؟ قال: إنَّها لما كانت تدخلها التاء أرادوا أن يجمعوها بالواو والنون كما جمعوها بالتاء، وأَهْلٌ مذكَّر لا تدخله التاء ولا تغيّره الواو والنون كما لا تغيّر غيرَه من المذكَّر نحو صَعْبٍ وفَسْلٍ[1]» فالاستدلال في النصين مختلف فما هو أصل في نص سيبويه جعله السيوطي فرعا، وما هو فرع جعله أصلا، وهذا من شأنه أن يضلل الباحث إن نقل عن الأشباه والنظائر دون الرجوع إلى الكتاب، ولا يمكنني معرفة السبب الذي جعل السيوطي يقع في هذا القلب، ويحتمل أنه كتبه من حفظه فالتبس عليه الأمر، وهذا أقوى ما يمكن القول به، لأنني وجدت كثيرا من النصوص يوردها السيوطي بأسلوبه الخاص وينسبها إلى سيبويه، وهذا الصنيع مخالف للعلم الدقيق، وقد أشرت إلى بعض أضراره في كونه يجعل الباحث لا يفرق بين المصطلحات التي استعملها سيبويه من المصطلحات التي استعملها المتأخرون واستعملوها في تعبيرهم عن بعض آراء سيبويه بأسلوبهم.

3. 6. تغيير اسم صاحب الشاهد:

مما وجدته من اختلاف بين ما نسبه السيوطي إلى سيبويه وما ذكر في الكتاب، نسبة شاهد في الأشباه والنظائر إلى حميد بن ثور بن حزن الهلالي المتوفى نحو 30هـ وهو منسوب في الكتاب إلى حميد الأرقط، قال السيوطي: «... وقال حميد بن ثور:

1- سيبويه، المصدر السابق، ج3، ص599.

فأصْبَحُوا والنَّوى عالِي مُعَرَّسِهم *** وليس كلَّ النَّوى تُلْقِي المساكينُ[1]»

وجاء في الكتاب: «... قال حُمَيْدٌ الأَرْقَطُ:

فَأَصْبَحُوا والنَّوى عالِي مُعَرَّسِهم *** وليس كلَّ النَّوى يُلْقِي المساكينُ[2]»

فالأول: حميد بن ثور بن حزن الهلالي المتوفى نحو 30هـ وهو شاعر مخضرم، والثاني حميد بن مالك الأرقط توفي سنة 95هـ وهو شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية.

ومثل هذا الخلط يمس منهج الدراسة العلمية التي انتهجها النحاة الأولون، إذ يؤدي إلى خلط بين لغات العرب إن كان الشاعران من قبيلتين مختلفتين، والخلط بين لغة الجاهليين والإسلاميين، وإن كان هذا النوع من الخلط نادرا جدا في الأشباه والنظائر، فإنه غير مستبعد من بقية كتب المتأخرين من النحاة.

وسبب هذا الوهم الذي وقع فيه السيوطي هو تشابه اسمي الشاعرين، ووجود كل منهما في عصر الاحتجاج، إضافة إلى استشهاد سيبويه بشعرهما في مواضع مختلفة من الكتاب.

4. خاتمة:

بعد هذه النظرة السريعة في الكتابين: كتاب سيبويه، والأشباه والنظائر في النحو للسيوطي، لا بد لي من سرد نتائج الدراسة في سطور معدودات، بكلمات بسيطة واضحة تمكن القارئ الكريم من تذكر ما قرأه، فينصرف وقد علق بذهنه شيء مما أردت قوله وبالله التوفيق:

1- السيوطي، المصدر السابق، ج6، ص77، 78.

2- سيبويه، المصدر السابق، ج1، ص147.

– يغيّر السيوطي في كثير من الأحيان عبارة سيبويه، فقد يغير المثال الذي ذكره سيبويه مفردة كان أم تركيبا، وإنما وقع السيوطي في هذا الأمر لسببين:

- **السبب الأول**: اعتماده على حفظه دون الرجوع إلى الكتاب.
- **السبب الثاني**: نقله أقوال سيبويه من كتب وسيطة دون الرجوع إلى الكتاب الأصل.

ولهذا الصنيع أثر سلبي إذ قد يستعمل مصطلحات نحوية لم تكن معروفة في عهد سيبويه وينسبها إليه، فيوهم القارئ أن هذا المصطلح أو ذاك عرف في العصور الأولى وما هي منها، وقد يؤدي تغيير المثال إلى الخروج عما أراده سيبويه، ويحرم القارئ من تذوق كلام العرب الأصيل الذي جعل ابن خلدون يقول عن كتاب سيبويه بأنه يُكسِبُ الملكة اللغوية.

– التبس على السيوطي في بعض المواضع قول شراح كتاب سيبويه بقول سيبويه، وسبب ذلك –كما أشرت سابقا– عدم رجوعه إلى كتاب سيبويه الأصل، وأكثر من هذا؛ فإن السيوطي قد نسب كلاما إلى سيبويه نقله عن ابن يعيش الذي نقله عن السخاوي، وهو في حقيقة الأمر للسيرافي، فكثرة الوسائط أوقعته في هذا الخطأ، مما يجعلنا لا نستريح إلى ما ورد في الأشباه والنظائر إلا بعد التأكد من صحته.

– نسب السيوطي شاهدا –وهو بيت لذي الرمة– إلى سيبويه، وما هو من شواهد الكتاب، وسبب ذلك عدم رجوعه إلى الكتاب ونقله من الكتب الوسيطة، لأن الشاهد موجود في شرح السيرافي، فظنه من شواهد الكتاب.

– وقع في قلب القياس في موضعين اثنين، فجعل الأصل عند سيبويه فرعا والفرع أصلا، وهذا الصنيع له أثر بالغ في الدرس النحوي، كما أنه يوصل صورة غير صحيحة لما أراده سيبويه في كتابه.

– غيَّرَ اسم صاحب الشاهد، ولعل ذلك لاختلاف النسخ والروايات.

وأصل في النهاية إلى نتيجة عقلية تنقسم إلى قسمين هما:

– **القسم الأول**: وقوع السيوطي في هذه الأوهام وهو يروي كلام سيبويه مع شهرة أقواله وانتشار كتابه في البلاد يوحي بوجود أوهام أكثر عند روايته أقوال من هو دون سيبويه في الشهرة.

– **القسم الثاني**: وقوع السيوطي في هذه الأوهام مع سعة علمه، وكثرة محفوظه، يوحي بوقوع من هو دونه في الحفظ والعلم في أوهام أكثر وأشنع.

ولا يفوتني أن أوصي الطلبة المجتهدين والباحثين المبرزين بالرجوع إلى الأصول للاطلاع على كلام العرب الأقحاح، والتعرف على ما تعارف عليه النحاة المؤسسون من طرائق القياس وما تواضعوا عليه من الاصطلاح وبالله التوفيق.